الرخا وعصمة في البلا وروي ابو الزبير عن سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء كثير باخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقا الاخوان جلا الاحزان وقال خالد بن صفوان ان اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن يا بني الغريب من ليس له حبيب وقال ابن المعتز من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا وقيل لبعض الحكما ما العيش فقال اقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الاخوان وقال بعض الادبا افضل الذخاير اخ وفي وقيل حلية المرء كثرة اخوانه وقال بعض البلغا صديق مساعد عضد وساعد قال بعض الشعرا

هموم رجال في امور كثيرة … وهمي من الدنيا صديق مساعد

نكون كروح بين جسمين قسمت … فجسماهما جسمان والروح واحد

وقيل انما سمي الصديق صديقا لصدقه والعدو عدوا لعدوه عليك وقال ثعلب انما سمي الخليل خليلا لان محبته تخلل القلب فلا تدع فيه خللا الا ملاته وانشد قول بشار

قد تخللت مسلك الروح مني … وبه سمي الخليل خليلا

والمواخاة في الناس تكون من وجهين احدهما اخوة مكتسبة بالاتفاق الجاري مجرى الاضطرار والثاني مكتسبة بالقصد والاختيار فاما المكتسبة بالاتفاق فهي اوكدهما لانها تنعقد عن اسباب تقود اليها والمكتسبة بالقصد تعقد لها اسبابا تنقاد اليها وما كان جاريا بالطبع فهو الزم مما هو حادث بالقصد ونحن نبدا بالوجه الاول المكتسب بالاتفاق ثم نعقبه بالوجه الثاني المكتسب بالقصد اما المكتسب بالاتفاق فله اسباب تبتدي منها ثم تنتقل في غاية احواله المحمودة الى مراتب سبع ربما استكملهن وربما وقف على بعضهن ولكل مرتبة في ذلك حكم خاص وسبب موجب كما قال الشاعر

ما الهوى الا له سبب … يبتدي منه وينشعب

فاول اسباب الاخا التجانس في حال يجتمعان فيها ويأتلفان بها فان قوي التجانس

قوي

قوي الايتلاف به وان ضعف كان ضعيفا به ما لم تحدث علة اخرى تقوى بها الايتلاف وانما كان كذلك لان الايتلاف بالتشاكل والتشاكل بالتجانس فاذا عدم التجانس من وجه انتفى التشاكل من كل وجه ومع انتفاء التشاكل يعدم الايتلاف فثبت ان التجانس وان تنوع اصل الاخا وقاعدة الايتلاف وقد روى يحيى بن سعيد بن عمرة عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف وهذا واضح وهي بالتجانس متعارفة وبفقده متناكرة وقد قيل في منثور الحكم الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفترق وقال بعض الحكما حسن تشاكل الاخوان يبقي التواصل ولبعضهم

فلا تحتقر نفسي وانت خليلها … فكل امرئ يصبو الى من يجانس

وقال الشاعر

فقلت اخي قالوا اخ من قرابة … فقلت لهم ان الشكول اقارب

نسيبي في رايي وعزمي وهمتي … وان فرقتنا في الاصول المناسب

ثم تحدث التجانس المواصلة بين المتجانسين وهي المرتبة الثانية من رتب المواخاة وسبب المواصلة بينهما وجود الاتفاق لان عدم الاتفاق منفر وقد قال الشاعر

الناس ان وافقتهم عذبوا … اولا فان جناهم مر

كم من رياض لا انيس به … تركت لان طريقه وعر

ثم تحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهي المؤانسة وسببها الانبساط ثم تحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهي المصافاة وسببها خلوص النية ثم تحدث من المصافاة رتبة خامسة وهي المودة وسببها الثقة وهذه الرتبة ادنى الكمال في احوال الاخا وما قبلها اسباب تقود اليها فان اقترن بها المعاضدة فهي الصداقة ثم تحدث عن المودة رتبة سادسة وهي المحبة وسببها الاستحسان فان كان الاستحسان لفضايل النفس حدث منه رتبة سابعة وهي الاعظام وان كان الاستحسان للصور والحركات حدث منه رتبة ثامنة وهي العشق وسببه الطمع وقد قال المامون

اول العشق نواد وولع … ثم يزداد اذا زاد الطمع

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)